قبل الرحلة

أروع الأحداث هى تلك التى تصنعها لنا الأقدار، ففى حبكة درامية خارقة تحدت كل الإبداعات الخياليـة أخرجت الأقدار اللقطة الأخـيرة فى حياة البطل الفريق «سـعد الشـاذلى» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيـس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاسـة الجمهورية فـى نفس يوم ١١فبراير ٢٠١١ م، وأثناء انـدلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قـدّرالله تعالى مصيرالظالم والمظلـوم فى يوم واحد! وكان يـوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير فى إسـقاط رأس النظام (مبارك) والتى أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشـاذلى» إلى احتفال شعبى كبير يليق بمكانته التاريخية فى مصر والعالم العربى، شـارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلى» الذى عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشـتى فى هذا المشهد المهيب أن الملايين التى هتفت مطالبة بسـقوط مبارك، هى نفسـها التى رفعت أكف الضراعة فى نفس اليوم تطلب من الله تعالى فى صلاة الغائب الرحمة «للشـاذلى» وهو فى طريقه إلى مثواه الأخير فـى الدنيا! فأعادت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتى لقطـة أخرى لاتقل عنها روعة لازالت منقوشـة فـى ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وهى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحد من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائدا عسكريا من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال الرأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصرا، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلما وبدون محاكمة وكانت جريمته وطنيته وحبه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

مـن حقوقه المدنيـة والقانونية وهـو بعيد عن وطنه، تسـابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصـالح بلادهم لكنـه رفضها جميعها لأنه كان يعتـز بمصريته ويدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنـى كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حـرب عربية منتصرة فى التاريخ العربـى الحديث، البطل الذى ظلمتـه الأنظمـة وأنصفه التاريـخ، وعاش رمزا وطنيـا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى سـتأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشـاذلى بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أسـرته ، وأسـطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة سـجنه لأعرف كيـف كان بطلا فى غربته ومحبسـه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشـف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقـة، ولأجعـل من أوراق هذا الكتاب تحيـة إلى ذكراه وباقة على قـبره اعتذارًا عما لاقاه مـن بطش وظلم فى وطنه وموطـن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شـرف وطنى أفتخر به. وسـيظل اسم الفريق «سـعد الشـاذلى» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى سـجل التاريخ العسكرى العربى ودُرة فى جبين مصر.

آمال البنا